# إحياء فروض الأمة
# واجب للتقدم والنهضة

## الاعتبار بالسنن الكونية

مــن واجب المســلم فى كل عصر أن يفقه أمــر الدين، ويتعين طلب هذا التفقه فى عصر التراجع والانكســار، ليتعرف به إلى أصول الإسلام ومدار أحكامه، بما يتطلب العلم بمقاصد الشرع والتعامل بفهم مع قضايا الوطن ومصالح المجتمع. والتعامل البناء مع التطورات، وحاجات الفرد والدولة وما أحوج المســلم فى هذا العصر أن يكون محصنا بذلك ليكون نموذجا للشــخصية الجديرة بحمل فكر الإســلام، وقادرا على مجابهة التحديــات التى فرضتها طبيعة العصر، بأن يترســم نموذج الشــخصية المسلمة الحقة، ويعى فرائض الشرع، وأن يجسدها فى الواقع المعيش، فتســلم عقيدته من الزيغ والريبة، ويحرر الشــريعة بهذا الفهم المتبصر من الجمود والتشــدد ويسمو بالأخلاق، ويكون عنوانا على تزكية النفس واستقامة الفطرة، وتحضر السلوك.

ولكن تباعد الأزمان، أورث خللا فى ســلوك الفرد والمجتمع، وأفرز صورا من الانحراف عن الفهم السديد للدين والشرع، وشوه العقل المسلم وحجبه عن التفكير الخلاق، وطعن الشخصية المسلمة فى الصميم.

وقد ألقى القصور ذلك بظلاله على حالة الفرد والجماعة، نسوق كمؤيد على ذلك، حصر الإسلام فى العبادات وقصره لدى جمهرة المسلمين على الشهادتين والصلاة والزكاة والصوم والحج، وكأن الإسلام هو ذلك فقط، مما أدى إلى الانفصال عن الفرائض الحياتية التى جاء بها الإسلام لتنظيم الاجتماع البشرى، وإعمار الكون، والإشارة تغنى عن

التفصيل من ذلك غياب وحدة الصف ولم الشمل، وتراجع النظام والدقة والضبط فى كافة المناحى، وعدم الجدية فى تحصيل العلم، والانصراف عن العمل الجاد وحالة التخلف، والقصور عن تحقيق التنمية بمفهومها الشامل، والفصل بين العمل للدنيا والدين، وغيرها من مفردات التقدم المجتمعى، حتى وصل الأمر إلى ما يشبه الخصومة بين الدين والعصر.

وقد انعكس ذلك على السواد الأعظم الذى اختزل الإسلام فى جانب العبادة، وأسقط الشطر الثانى وهو المعاملة، وضرب صفحا عن الإلتزام بحقيقة الدين المعاملة، الأمر الذى قد غيب النموذج الفذ فى الشرع وهى الفروض الحضارية التى كان بها أسلافه العالم الأول، فى دنيا الناس وعند الله والمعلم الحضارى للإسلام فى العالمين، وذلك بالوعى بالجمع بين الفروض العينية، والفروض الكفائية التى تجب على مجموع الأمة وليس جميعها، وبسبب غياب الفروض الأخيرة وقع المسلم فى أشد الإثم نتيجة إهمالها، من حيث إنه يؤدى إلى تعثر نظام الجماعة واختلال نظامها، وتدنى مكانتها، وسقوط هيبتها، حتى باتت منقسمة على نفسها، تفرق بها السبيل فى اتجاهات عدة، الأمر الذى جعلها عالة على غيرها، ففقدت دورها الناهض بين الأمم والمجتمعات الحديثة.

والصورة الماثلة للفرد والمجتمع والأمة فى الوقت الراهن شاهدة على تشوهات أدخلت على الإسلام، إذ أصبح المسلم يكتفى فى إسلامه بأداء العبادات شكلا بلا مضمون، فى حين نجده لا يعرى اهتماما لفرائض أساسية فى توفير مقومات حياته من المأكل والمشرب والملبس والمسكن والتعليم والعلاج، مما جعله يعتمد فى العلم والتقنية والأفكار على من لا يضمرون له الخير، ولا يرجون له التقدم.

وقد نتج عن ذلك حالة من التخبط والتوهان، مما أسفر عن الفوضى وعدم الانتظام فى مسار الحياة اليومية، وغياب التعاون والتكامل بين الأفراد والجماعات، حتى صار الفرد والجماعة يعيش لنفسه وجماعته فى برج منعزل لا يهتم بشئون المجتمع والأمة، وفى شغل شاغل عنهم.

وهنا يبرز واجب العلماء والمفكرين والخطاب الدينى والقومى بالتنبيه على تصحيح المفاهيم الخاطئة، والتوجيه بضرورة إحياء هذه الفروض الغائبة، والتوعية بها مصداقا للدعوة القرآنية: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٢].

والتزاما بالتوجيه النبوى: [نضّر الله امرءا سمع منا شيئا فبلغه كم سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع] رواه الترمذى، وقال حديث حسن صحيح[١].

فالفهم والتبصر والفقه السديد وتوعية الناس بحقائق الدين ومصالح الوطن مطلب أساسى ودائم ومتجدد، لبعث حقائق الإسلام، واستعادة النهضة المفقودة وهو واجب يجدر السعى إليه، كما جاء فى حديث: (من يرد الله به خيرا يفقه فى الدين) متفق عليه[٢] لقد نبه الوضع القائم على ضرورة أن يعى المسلم فى العصر الراهن أن أركان الدين وفرائضه العقدية والعبادية لا يمكن أن تكون بديلا عن الفرائض الاجتماعية وعن تضافر الجهود، فإن الحياة لا تقوم بدون التعاون على مطالب التنمية

(١) رياض الصالحين للنووى، باب أفضل العلم.

(٢) رياض الصالحين للنووى، باب فضل العلم.

والعمران، إذ كيف يمكن أن يؤدى المسلم مقاصد الشرع: بحفظ الدين والنفس والمال والعقل والنسب مع فقدان أمن الفرد والجماعة، وسكينة واستقرار المجتمع، والتعاون على أسباب الحياة وقيام على المرافق الأساسية، وبالمؤازرة بين الفرد والجماعة وحتمية سد أبواب الخلل والتفرق والانشقاق فهو فريضة لبلوغ أهداف المجتمع، عملا بقاعدة: (درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة) وقاعدة: (يرتكب أخف الضررين).

ان استدعاء الفقه المقاصدى، وإحياء فروض المعاملات فى واقع الناس، وإحيائها فى سلوكياتهم وتعاملهم هو مطلب حيوى لاستعادة الدور الإسلامى فى قيادة وتنظيم المجتمع وضبط حركة الحياة فى ظل فهم واع بالمتطلبات الحياتية، وترتيب للأولويات المجتمعية، فى إطار المنظومة الإسلامية، التى تتكامل مع بعضها البعض، وهو ما يقضى إعمال العقل، وملاحظة ظروف العصر وأحوال الناس، وفقا للمكنة التى خولها حديث الرسول ﷺ: (أنتم أعلم بأمر دنياكم)[1].

ونورد بعضا من تلك القضايا المغيبة، لأهميتها للحالة الحاضرة.

### ١- قضية وحدة الصف والهدف كنموذج غائب عن حياة المسلمين:

المشهد الراهن يكشف عن البون الشاسع بين الهوية والواقع، فلا يوجد ذلك التطابق بين المبادئ والأفعال وهو ما يكتشف فى العديد من الفرائض فلا يوجد ذلك التعانق بين المبادئ والتطبيق، وهو ما يتكشف فى العديد من الفرائض المغيبة عن واقعنا وفى حياتنا المعيشة من توحيد الكلمة، وجمع الصف، وإرادة التماسك، فنلمس غياب العمل

(١) الحديث صحيح مسلم جزء ٤ كتاب الفضائل رقم ١٤١، ص ١٨٣٦.

بروح الفريق فى واقع المسلمين الحاضر، وتشعب فى الوجهة والهدف مما أثر سلبا فى الوفاق فى اجتماعهم، وهو والتشتت فى مسالكهم، فهم مفتقدون إلى تضافر الجهود فى تسيير شئونهم يتجادلون ويتدافعون فيما ينبغى الاتفاق عليه، فى تأكيد قوتهم ورفعة مكانتهم، وإنسانية مبادئهم، وصلاح مجتمعاتهم، فى الوقت الذى يركنون فيه إلى إشاعة أفكار وممارسات خاطئة يستسلمون لها وهى ليست من الدين ولا من النظام الذى عاشوا عليه، فقد صاروا شيعا وجماعات متفرقة يفكر كل فريق لنفسه، ويحشد الأنصار لما يدعو إليه وكأنه فى جزيرة منعزلة يعمل لذاته، ويسعى لبلوغ غرضه بمعزل عن الجماعة والأمة، وبغية تحقيق مصلحة ضيقة وجريا وراء طموحات آنية دون أن يكترث كثيرا بضرورة أن تكون مصحلته هى عين مصلحة الوطن والجماعة ليقوى بها مسعى الأمة والجماعة، فى اجتماع الكلمة ولم الشمل، وبلوغ الهدف المشترك.

فإن تلاقت مصلحته مع مصحله الجماعة، فقد يحدث ذلك عرضا وكيفما اتفق وليس قصدا أو عن طريق العزم والتخطيط حرصا على دعم الجهود، وتلاقى الإرادات، وصولا إلى الهدف العام، وهو من صور الخلل الماثل فى الحالة المجتمعية.

وهذا يخالف نموذج الاجتماع والتعايش الذى أقام عليه الإسلام مجتمعه، وأسس عليه صرح الأمة، فى التعاون والتكامل والتواصل فى الجهود والمسعى بلوغا إلى مجتمع ناهض ووطن عزيز، وأمة موحدة قوية.

**٢ - طرح المذهبية والاتجاه إلى الوحدة والتساند المجتمعى**

انشطرت المجتمعات الإسلامية إلى فصائل يناوئ كل

منهـا الآخـر، ويتربـص بعضهـا بالبعـض، وصـار الحديـث عـن الوحـدة والتماسـك المجتمعـى يناقـض الواقـع ولا يسـتقيم مـع تأكيـد الإسـلام علـى بنـاء المجتمـع وفـق هـذا الصـرح المكيـن.

أساسـة أن دعوة الإسـلام إلى الالتفاف حول الوحدة والائتلاف هى دعوة أصيلة، عاشت عليها الدولة والأمة، وحققت به أمجادها وأهدافها.

والآيـات الداعية إلى الوحـدة والاعتصام حول دين الله ولم شـمل الأمة، والحفاظ على التماسـك المجتمعى متضافرة ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [سـورة آل عمـران: الآية ١٠٣]. ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ [سـورة المؤمنـون: الآيـة ٥٢]. فالوحدة كانت وراء كل الانتصارت التى حققتها الأمة، وأسسـت عليها مجدها وريادتها على الأمم الأخرى.

وقد عرف المسلمون ذلك وسلكوا الطريق إلى التوحد فى إطار التنوع الذى كانت عليه الأمة.

فعلى هديه توحدت القبائل وتعايشـت الأديان وانصهرت فى بوتقة الإسـلام برغم الاختلاف فـى الجنس واللون واللغـة والدين، فانضوى الجميع تحت لواء الإسلام واستظلوا بمظلته.

وهذا يتجلى فى أن الإسلام أوجد العنصر الفارسى [سلمان] والرومى [صهيب] والحبشـى [بلال] والعربى منذ النشأة الأولى للإسلام، الذين تعاونوا على الإخلاص للدين والأمة الناشـئة، وأدرك المسـلمون أن هذا الرباط القوى الذى حافظ على نسـيج الأمة، وعلى تماسكها المجتمعى، وأمدهـا بالقوة، وأقامها على التعاطـف والتراحم هو الحصن الحصين،

والمـلاذ الآمن للفرد والجماعة ينبغى الدفاع عنه وتأييده بكل السـبل، والوعى بواجب قيام المسلم بحاجة أخيه فى الإسلام والوطن.

**ومؤيدات ذلك:**

عن أبى هريرة ﷺ قال: (من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا، نفـس الله عنـه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسـر على معسـر فى الدنيا يسـر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم فى الدنيا سـتر الله عليه فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه) رواه مسلم وأبو داوود والترمذى وحسنه النسائى وابن ماجه مختصرا والحاكم، وقال صحيح على شرطهما[1] وليس إحياء هذه الشريعة الإسـلامية ترفا، بل إنها متعينة للمصلحة العامة بأن نستمسك بالهدى القرآنى والنبوى فى وجوب التعاضد والتساند والتوحد كركيزة الاجتماع الإسـلامى فهو الرباط الجامع لعناصرها المتنوعة ومشـاربها المختلفة.

وقد ظل المسلمون يعتنقون هذا الفكر الوحدوى الجامع طوال العصور والأجيال، وجسدته الأمة الإسلامية فى العصر الذهبى للإسلام.

كانـت دولة النبـوة، هى الأعلى كعبا والأرسـخ قدمـا، فيما فعله الرسول ﷺ فى دولة المدينة بين الأوس والخزرج والمهاجرين والأنصار من جانب وبيـن اليهود وحتى الوثنيين من جانب آخر. ومع النصارى على حدود دولة المدينة، فقد ضمت الدولة الناشئة جميع هذه العناصر فى نسيج واحد فى كيان الدولة فى مواجهة الأعداء.

(١) الترغيب والترهيب للمنذرى، جـ ٢، باب الترغيب فى التيسـير على المعسر وأنظاره والوضع عنه.

## أثر الفرقة والاختلاف والانقسام

ظل الحرص على التوحد واقعا ملموسا وسلوكا حيا فى مسيرة الأمة، حاكما لواقعها الحياتى، مترسخا فى الضمير والوجدان لدى المسلم فردا كان أو جماعة.

وقد علمهم القرآن والسنة أن الفرقة والطائفية هى سبب البلاء، ومجلبة للكوارث، وطريق الهزيمة والفشل، وحذرهم منها.

والآيات واضحة وقاطعة فى الدلالة على هذا المعنى، بقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [سورة الأنفال: الآية ٤٦]. وحذرت النصوص من الفرقة والاختلاف، بقول تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٠٥].

وسايرت السنة الهدى القرآنى فى بيان مغبة الفرقة، وتداعياتها المدمرة، ونبهت إلى وجوب مواجهتها والتخلص منها، بكل سبيل.

وفى الحديث: من أتاكم وأمركم جميع على قلب رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاضربوه بالسيف كائنا من كان[1].

دعا القرآن إلى تآلف المجتمع وتماسك العلاقات بين أفراده، وكان حاسما فى مواجهة الفرقة وحسم مادة الخلاف والانشقاق ولو بالقوة والردع.

بقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ

(١) مشكاة المصابيح للتبريزى، جـ ٢ ص ٣١٩.

﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الحجرات: الآية ٩].

وهكذا فإن رأب الصدع وإصلاح ذات البين بين المختلفين واجب ومطلب شرعى يتعين القيام به على الحكم والجماعة، لما له من أثر بناء فى انتظام الأحوال.

**المشهد الراهن عنوان على الانقسام المجتمعى**

ليس خفيا على من يطالع الشأن العام فى المجتمعات الإسلامية أن يعاين كم أن الساحة مليئة بالتيارات الحاملة لفكر الطائفية البغيضة والأطياف المتباينة حول الإسلام: الهوية والأيدولوجية والنظام فنجد أن بعضها يرفع شعار الطائفية ويحتكر التفسير ويختزل ماهية الدين فى شعارات، ويحصر الفهم فى ناحية بعينها، موجبا الاتباع والانقياد لما تراه كل طائفة، وكأن الدين من صناعة هذا التيار أو ذلك وأدى هذا الخلل إلى بروز جماعات مسلحة تمثل المسلمين وتشق الصف بعناوين إسلامية، منها تنظيم القاعدة، وداعش تنظيم الدولة الإسلامية فى الشام والعراق وغيرها.

والناظر إلى الموقف الماثل يجد العديد من التجمعات تدعو إلى أفكار ورؤى مختلفة كما فى فكر السلفية، والإخوان المسلمين، والصوفية، والجماعة الإسلامية، والقرآنيين، والبهائيين، مع وجود صاحب المرجعية الإسلامية مؤسسة الأزهر الوسطية التى تحمل فكر أهل النسة والجماعة المعتمد على القرآن والسنة والنقل والعقل الأساس الذى يقوم عليه الإسلام والذى حمل العلم الإسلامى منذ أكثر من ألف سنة تؤصل وتجتهد وتواكب المسيرة، وتحفظ التراث ومصلحة الأمة فقدمت رصيدا علميا عميقا فى فهم الإسلام وتفسير نصوصه تفسيرا سليما

من أسـقام العلل المؤدية إلى الفرقة وشـق الصف، وهو التوجه الحقيق بالالتفاف حوله والانضواء تحت رايته، لأنه ما كان عليه سلف الأمة.

فضلا عن أن المجتمع يزخر بوجود الجماعات الوطنية الأخرى ذات التوجهات السياسـية والاجتماعية، بمـا تقدمه من رؤى أيدولوجية من بينها الليبرالية، واليسـار، وائتلاف الشباب الذى يعم المشهد العربى، وهو مشهد تسعى كل جماعة فيه إلى استقطاب الجماهير، وكسب الراى العام بغية الوصول إلى السلطة وقيادة المجتمع.

ومكمن الخطورة فى توسيع شقة الاختلاف بما يؤدى إلى الخلاف الذى قد يقود إلى الصراع والفتن، ويحول المجتمع إلى شيع وأحزاب متصارعة.

**واجب التوافق على خطة للعمل الجماعى**

وما لم تتوصل هذه التيارات أو الجماعات إلى حالة الوفاق والائتلاف على برنامج للتوحد والتماسك يستلم دعوة الإسلام وأديان السماء، فيوشك أن تـؤدى هذه الطموحات إلى تمزيق لأواصر المجتمع وأن تكون عاقبته وخيمة على الجماعة الوطنية والوطن والأمة، فتأتى بعكس المقصود منها فى التحرر والإصلاح والنهضة.

ويحذر الإسـلام من الفرقة والتشيع والانشقاق بآيات وأحاديث غاية فـى الوضوح والجلاء، بحيث تدين السـالكين طريقهـا، وتدرجهم فى زمرة الخارجين عن وجهة الإسلام ومنهجه. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [سـورة الأنعام: الآيـة ١٥٩]. ويعجب المتابع لكثـرة هذه الجماعات وتنافرهـا وتناحرها فى الوقـت الحاضر وهو ما كشـف عنه بالحديث

الذى ينهى عن عاقبة الفرقة المهلكة للأمة فيما أخبر عنه الرسول ﷺ افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتى على ثلاثة وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة، قالوا وما هى يا رسول الله؟ قال: (ما أنا عليه وأصحابى)[1]. هذا الحكم الحاسم فى إدانة الفرق والجماعات المتصارعة يرسم طريق النجاة وسبيل الخلاص بلزوم أهل السنة والجماعة، بما يعبر عن الفهم السليم للإسلام، والتوجه الذى يدعو إليه الأزهر بوسطيته ورصيده الدينى والحضارى، وما يقوم عليه منهجه التعليمى الذى يدرس الفرق الكلامية على تعدد مشاربها ومسالكها.

وكذلك فيما يقوم بتدريسه من المذاهب الفقهية على اتساع أطروحاتها حتى وصلت إلى ثمانية مذاهب تختلف آراؤها فى قضايا عديدة ومن ثم يكون المتعلم على دراية بما أنجزه الفكر، وقدر الثراء فى العلم الإسلامى، وحضارة المسلمين عندما تمسكوا بالأصول، واحتشدوا حول الهدف، واصطفوا جميعا حوله، وعملوا من أجله.

وما لم يتبصر الفرقاء بخطورة التنازع، وآثاره الوخيمة، ويبادر كل فريق إلى لم الشمل، والتآلف والانضواء فى سلك الجماعة فإن المآل جد خطير، لأنه يفجر الفتنة ويشعل الخلاف، ويؤجج الصراع، الذى يصل إلى الاقتتال أو الحرب الأهلية، وهو ما ينبغى الكف عنه، باعتباره وسيلة إلى الفتنة المحرمة، ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٩١]. وقد نبه الرسول إلى خطورة الفتنة وأرشد إلى تلافى أسبابها، وآفاتها، وخطورة إشعالها.

(١) سنن ابن ماجة، كتاب الفتن.

وقــد كان الصحابة مدركين لهــذه الخطورة، وكان من بينهم من نبه إلى ذلك كما فى حديث حذيفة بن اليمان، قال قال رسول الله ﷺ وهو يحدث مجلســا أنا فيه عن الفتن، فقال رســول الله ﷺ وهو يعد الفتن منهــن: (ثلاث لا يكون يذرن شــيئا، ومنهن فتــن كرياح الصيف منها صغار ومنها كبار)[1] وأبواب الفتنة كثيرة وصناعها أشــد من العدو، وهم وقود جهنم وإخوان الشياطين، لما يترتب عليها من الفساد والدمار، مما يجدر بالمسلم أن يغلق باب الفتنة ويقف ضد مشعليها.

حدثنا محمد بن المثنى.... أنه سمع أبا إدريس الخولانى أنه سمع حذيفة بن اليمان، يقول: (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أســأله عن الشر مخافة أن يدركنى، فقلت يا رسول الله: إنا كنا فى جاهلية وشــر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت وهل بعد ذلك الشــر من خيــر، قال: نعم، وفيه دخن [حقد أو فســاد فى القلب] قلت ما دخنــه؟ قال قوم يهدون بغير هديى تعرف منهم وتنكر قلت: فهل بعد ذلك الخير من شــر؟ قال: نعم دعاة علــى أبواب جهنم مــن أجابهم إليها قذفوه فيها قلت يا رســول الله: صفهــم لنا: هم مــن جلدتنا ويتكلمون بألســتنا قلت: فمــا تأمرنى إن أدركنى ذلك، قال: تلزم جماعة المســلمين وإمامهم قلت: فإن لم يكن لهــم جماعة ولا إمام، قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت، وأنت على ذلك).[2]

(١) صحيح مسلم، جـ ١٨ كتاب الفتن وأشراط الساعة، ص ١٥.

(٢) فتح البارى بشــرح صحيح البخارى لابن حجر العســقلانى، جـ ١٦، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، ص ١٤.

فالنجـاة والملاذ من الفتنة يكون بالاعتصـام بالجماعة ولزوم الأمة، وإطفاء نيران الفتنة، وهى فريضة الاجتماع فى الإسلام.

وفـى حديث أبـى هريرة قال قال رسـول الله ﷺ: (يتقارب الزمان ويقبض العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج، قالوا ما الهرج قال القتـل)[1]. إن الفرقة والانقسـام مدخل إلى الفتنـة بكل ما تجلبه للفرد والجماعـة والوطن من شـرور نربأ بالإخوة فى الوطن والدين أن يسـدوا منافذ الشيطان، وألا يكونوا أداة لتنفيذ مخطط الأعداء.

## السبيل إلى البناء وتحقيق الأهداف فى ظل المرحلة الراهنة

يتعين فورا وبلا إبطاء إنهاء الخلاف والصراع، والعمل على القضاء أو الحد من الفوضى والبلطجة والانفلات الأمنى، كسبيل للبناء فتلك مسألة ضروريـة يجب تحقيقها لبلوغ الأهداف وإلا كنا منبطحين ومستسـلمين لدعاة تمزيق الوطن ومسـتجيبين لآفات الفرقة التى سـرت عدواها بين أصحـاب الدين الواحد وبين أتباع أديان السـماء المؤمنين بالله وبالحق والعدل والتعايش السلمى والوطن المشترك، وهى نقيصة وعوار ومخالفة لنداء القـرآن: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٦٤] والأجـدر بكل التيارات المنتشـرة على السـاحة، أن تتصالح مع هوية المجتمـع، وأن تحتكم إلـى المصلحة العامة وتتجـرد عن الهوى وأن تتعـاون فيمـا بينها لصالح الوطـن، فليس أى حـزب أو ائتلاف أولى

(١) صحيح مسلم، جـ ١٦، كتاب العلم، ص ٢٢٢، ٢٢٣.

بخدمة الوطن، أو أحق به من الفريق الآخر، بل كل شركاء يحتاج إليهم الوطن، يلتفون حول مصالحه ويرسمون جميعا حاضره ومستقبله فهم أصحاب حق فيه دون استئثار للبعض أو إقصاء للأخر، وليس أمام الجميع إلا الوفاق بالحوار البناء، بلوغا للأهداف، والعمل على تحقيق المصلحة بالتعاون والتنسيق والتوافق على كل ما يسد أبواب الخلاف، ونشد المصحلة، ويؤكد على الأهداف الكبرى فى بناء الأمة وبلوغ نهضتها والسير على طريق الإصلاح والحرية والكرامة والديمقراطية والعدالة، ووأد الاستبداد.

**٣ - حتمية العمل والتنمية**

يتعذر قيام مجتمع الحرية والكرامة والعدالة فى غيبة الجدية والاتقان والمثابرة على العمل والتنمية المستدامة، طلبا لتوفير المطالب الأساسية اللازمة لوجود حياة كريمة، ونهضة حقيقية للفرد والمجتمع والأمة على السواء.

لذلك فإن على الفرد والجماعة أن يقفوا سدا منيعا أمام مظاهر الخلل، وأساليب العنف التى تحول دون المضى قدما على هذا الطريق، وتحرم المجتمع من تحقيقة ولا يجوز بدعوى المعاناة والفاقة الانصراف عن العمل والإنتاج وسلوك طريق العصيان، والفوضى، تعبيرا عن الاحتجاج وإدانة الممارسات الخاطئة وما ينتج عنها من الظلم والطغيان والفساد والاستبداد فإن الأجدر السير على طريق محاسبة ومعاقبة الفاسدين والمجرمين، والانطلاق فى نفس الوقت إلى العمل للتخلص من الفقر والتخلف والجهالة فى المجتمع.

لقد بـات العمل الجماعى فريضة الوقت لبنـاء الوطن والصمود أمام التحديات الجسـام التى تحاصر الأمة الإسـلامية من الداخل والخارج فعلى من يتصـدرون للعمل العام، ويهتمون بالقضايا القومية أن يتوافقوا على خريطة إعادة البناء وسبيل النهضة، بالتعامل العلمى مع الحاضر، واستشراف المستقبل ولا يتأتى ذلك إلا بإعداد الخطط، وتحديد الوسائل اللازمة لبلوغ الأهداف العليا والتى هى موضع اتفاق أو وفاق، والحرص علـى مصلحة الوطن والمجتمـع والأمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ ﴾ [سـورة الحشر: الآية ١٨]. إزاء ذلك فإن على كل فرد من أبناء الوطن أن يعمل ويتقن العمل باعتباره أداة حتمية لا مفر منها لبناء الوطن، وحصول كل فرد على مقومات حياته، وتحقيق الحياة الكريمة وحد الكفاية لكل فرد.

أن الحرص على سلوك طريق العمل قضية واجب شرعى يضطلع به كل فرد وفق ما يحسنه مهما كان صغيرا، فهو مما أمر به الشرع، ووجه إليـه: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٠٥].

وبالاسـتجابة إلى نداء الشـرع الذى يحيى الأمة، حيث طلب الله تعالـى من الناس تنميـه الأرض وعمارة الكـون: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا ﴾ [سـورة هود: الآية ٦١]. أى طلب من الناس عمارتها كما يقول الزمخشـرى أمركم بالعمارة وهى متنوعة ما بين واجب وندب ومباح[1] وفى حالتنا الكائنـة فإن التنمية والعمل فريضة وواجب متعين على الفرد والجماعة كل بما يقدر عليه ويتيسر له.

(١) تفسير الكشاف، جـ ٢، ص ١٠٤.

إن العمل ليس فقط سبيل الانعتاق من الفقر وبلوغ الغنى، وهو محقق للعزة، والتعفف عن السؤال، وهو صنيع الأنبياء فعن النبى ﷺ أنه قال: (كان داوود لا يأكل إلا من عمل يده) رواه البخارى.[1] وروى عنه ﷺ أنه قال: (كان زكريا عليه السلام نجارا) رواه مسلم.

فالعمل الجاد المنتج سبيل رضاء الرب وبناء الوطن ولو قام كل منا بواجبه فيه وتوكل على الخالق الرازق لتغير حالنا وتقدم مجتمعنا.

وقد روى عن الرسول ﷺ: (لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطان) رواه الترمذى، وقال: حديث حسن[2].

فهل نعى المطلوب، ونكون أهلا للقيام بالفروض الحياتية بفهم واع وفكر مستقيم باعتبار أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب وأن يكون رائدنا نبذ الفرقة وجمع الشمل والإذعان لحكم الفريضة نحو التقدم والعمل لمصلحة الوطن والأمة ابتغاء رضا الله ورفعة المجتمع، ونهضة الوطن، أم تظل على حالة الشقاق وتغييب العمل المنتج الذى يرتقى بالاوطان والأمة، هذا ما ستبديه لنا الأيام.

* * *

(١) رياض الصالحين للنووى، باب الحث على الأكل من عمل يده، والتعفف عن السؤال والتعرض للإعطاء.

(٢) رياض الصالحين للنووى صـ ٥٥ باب اليقين والتوكل.

# إسلام العروبة وفاق لا شقاق

تظل أحداث غزة مصدر فخار لكفاح البطولة والكرامة على التضحية الفلسطينية بكل عزيز وغالٍ من الأطفال والعجائز والنساء والرجال فى حدث مشهود فقد سطر صك مقاومةالمجاهدين حملوا أرواحهم على أكفهم فى سبيل الدفاع عن الدين والوطن والعرض والجود الفلسطينى الصامد على أرض سيناء الحبيبة التى ذكرها الله فى قرآنه: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ [سورة المؤمنون: الآية ٢٠]. تعيد للذاكرة أمجاد الدفاع عن الحق وتراب الوطن ولو بالقلة فى الزاد والنقص فى العدد والعتاد أمام نازية إسرائيل المدعومة بقوى الشر ممن لا يبلون بحرمة النفس الإنسانية ويدوسونها بالأقدام، ويقف من خلفهم من يناصرونهم فى كل محفل وبكافة السبل بالسلاح والمال والرأى والقرار تأييدًا للنازية الإسرائيلية التى تبغى اجتثاث أهل فلسطين من ديارهم.

وتنكر عليهم بكل سبيل حقهم فى الحياة على أرضهم، ومقاومة المحتل الغاصب واستحقاقاتهم فى العيش بإباء وعزة شأنهم شأن البشر الأحرار فى كل مكان وزمان، ضاربة بعرض الحائط مواثيق حقوق الإنسان.

إن ملحمة غزة البطولة والفداء بتجلياتها الناصعة فى الإصرار على الصمود والاستشهاد على الرغم من كل الظروف البائسة التى يحيا فى ظلها أبناء الوطن الفلسطينى، وهو أن الدم الفلسطينى المسلم حتى فى عالم العروبة والإسلام، وعصر المدنية والحضارة والإنسانية التى يتشدق

بها صناع القرار الدولى الذى عطل كل المؤسسات التى تعيد الحق إلى نصابه، ويضع حدا لشلالات الدم، إنما يقدم برهانا عمليا على تخاذل نفر من الأمة، وتقاعس البعض عن القيام بالواجب المستحق عليه تجاه من يواجهون الإبادة، ويكتوون بنيران القنابل الفوسفورية الحارقة، المحرمة دوليا، وهم شهود عيان على المأساة الإنسانية للإخوة فى غزة الذين يذبحون ويبادون على مرأى ومسمع من أمة العروبة والإسلام، وهى غارقة فى بحر الانقسام على نفسها وكأنها ارتضت حياة الإذلال والقهر، وصنيع العدو المهين على أرض فلسطين.

وعلى حين قاوم المجاهدون الفلسطينيون العزل العدو الصهيونى الذى أهلك الحرث والنسل، وعمد إلى استهداف الأطفال والناشئة لأنهم حماة الأرض والوطن فى مستقبل الأيام، قاوموه بصدورهم وإيمانهم لأنهم أصحاب حق فى مقاومة المحتل الباحثين عن العيش فى حرية وكرامة، ويعجب المرء من مشاهدة هذا الصمود وهم على هذا الحال أمام جحافل العدو وهم على يقين لا يغلب بقوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٤٩].

ولا شك أن الأزمات تظهر معادن الرجال، وتفجر الطاقات الكامنة فى صلابة وتماسك، لكن الواقع العربى يكشف عن موقف مُخزٍ من حرب الكلمات والتراشق بالألفاظ التى لا تجدى سبيلاً، ويكتفى البعض بالمزايدة بالكلام، ويهاجم مصر كنانة الله فى أرضه، والتى أبت إلا أن تكون فى الطليعة حقنا للدم الفلسطينى الذكى ونصرة للإخوة فى فلسطين، وحق عليها أن تفعل ذلك، فإن أهلها فى رباط إلى يوم

القيامة، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ إن ما يحدث فى المشهد العربى الراهن من تكريس الانقسام وتشرذم أمة العرب وهى عنوان الإسلام ولحمته، لهو دليل إدانة وانسحاب من ميادين الواجب المقدس، بما يكشف عن تقاعس فى الدفاع عن الحقوق الفلسطينية المشروعة، ناهيك عن سواها من الحقوق السلبية والمستباحة على امتداد أرض العروبة والإسلام، وما المآسى الواقعة فى العراق والصومال والسودان ولبنان وكشمير وأفغانستان والشيشان إلا عنوان على انقسام فى وحدة الصف، وتخاذل وتقاعس عن أداء الواجب، ونكوص عن تحمل المسئولية ومخالفة لأمر رسخه الله فى قرآنه العظيم: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٠٣]. والتورط فى النهى الذى حذرنا الله من الوقوع فيه، بل توعد من مغبة حصوله لما ينشأ عنه من الخيبة والخسران، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [سورة الأنفال: الآية ٤٦]. ويدرك كل من يعى تاريخ ومسار أمة العروبة والإسلام أن يستيقن الحقيقة الناصعة، والتى تثبتها الأحداث دوما على مر العصور، وهى أن نصرها على عدوها وفى كل شئون حياتها كان فى توحدها وتضامنها وتكاملها، وأن انتكاسها وهزيمتها كان فى تفرقها وتشرذمها وتنازعها، وهو الواقع المعيشى الذى تحياه الأمة فى عصرنا الحاضر صنيع أناس. يقولون ولا يفعلون ويحاربون بالكلمات، ويتراشقون بالعبارات فى وسائل الإعلام، ويحسبون أنهم أدوا واجبهم، إنما هو عبث وخداع يعلمه الله الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، ولا ينطلى على الشعوب،

ولا ينخـدع به الـرأى العام والأمم فى عصر الكونيـة، وعلى من يتنكر للحقوق السـليبة، ويدفن الرأس فى الرمال أن يعلم أن مآل هذا التخاذل الفشل والدمار والذل والهوان فضلا عن أنه سيلقى به من مزبلة التاريخ.

أمـا الحقيقة الخالدة فإنها تتجلى فى حتميـة الوعى النابه والعمل المشترك والتوحد البناء فى قضايا الأمة، فى ظل غياب الشرعية الدولية، التى أصابت العدالة العالمية فى مقتل، لما تكشف عنه المأساة الراهنة مـن القتل والتدمير والوحشـية والحصار لشـعب فلسـطين الذى يقاوم إسـرائيل المحتلة لأرضه، والخارجة من هذه الشرعية المنتهكة للعدالة الدولية المغيبة وهو برهان سـاطع على الكيـل بمكيالين وعلى المعايير المزدوجة فى شـأن الحق العربى والدم المسلم المراق هنا وهناك، وعلى الاستخفاف المسـتمر بحقوق الإنسان العربى، بدءًا من حقه فى الحياة وعصمة دمه ونفسه مرورا بحقه فى الحصول على حريته والعيش فى عزة علـى أرضه ووطن أجداده، وانتهاء بحقه فى الاسـتقلال وتقرير مصيره بعيدا عن تدخل العدو الغاشم الذى لا يرضى بديلا من جراء هذا العدوان السافر سـوى تركيع المقاومة، وتصفية القضية الفلسطينية وإماتة الحق العربى والإسـلامى فى القدس مدينة المسـجد الأقصى ومسـرى رسول الإسلام، ومهبط الأديان وأرض السلام التى حافظ على هويتها ومعالمها المقدسة أهل فلسطين عبر الأجيال والقرون، وتواصل الأمم والحضارات.

إزاء هذا فلا سـبيل أمام العرب باعتبارهم أصل الإسلام ومادة الدين الإنسانى، إلا أن يكفوا عن الفرقة، وينتهوا عن النزاع طلبا لوحدة الكلمة والتوافق على الانصياع لنصرة قضايا الأمة، وأن يتعايشوا سويا مهما كان